الموهبة الطلابية المهدورة في الجامعة الجزائرية

The neglected gifted students in the Algerian university

عبد الرزاق أمقران

جامعة محمّد لمين دباغين – سطيف2، amokrane60@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2021/05/28 تاريخ القبول: 2021/06/05 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

يطرح المقال قضية المواهب الطلابية المتعددة الأطياف التي تعجز الجامعة الجزائرية عن آداء مهام اكتشافها، رعايتها ومن ثم ادماجها وفق غايات واضحة. الجامعة مهمومة بالبيداغوجيا والانجاز العلمي ونادرا ما تتجاوز هاتين الدائرتين لتهتم بالطلاب من زاوية ما يملكونه من ملكات إبداعية، بنظرنا هي رصيد يدعم المعارف وترى فيه الجامعة عدم الاختصاص، أن لم تر فيه مضيعة للوقت. وعليه، تترك الجامعة فراغا يشغله أساتذة يجمعون بين ضرورات التكوين – البحث العلمي – والقدرة على اكتشاف المواهب الطلابية فيؤمنون لها ما توفر لهم من رعاية.

من هذا المنطلق اتصلت بطالبات ثلاث قيمت منذ سنوات وعلى ضوء ما أملكه من معلومات حول موضوع الموهبة، أنهن يجسدن الكثير من ملامح الموهبة. أخبرت الطالبات بالتوجه العام للمقال وطلبت منهن كتابة نصا مطولا حول سيرتهن الذاتية أخضعه لاحقا للتحليل بغرض التقرب من العوامل المحددة لتميز أرى فيه موهبة ويتجاوز التفوق الدراسي. النصوص الثلاثة عززت ما كنت أعرفه بشأن الأليات من جهة، وأتاحت لي فرصة اكتشاف المزيد. موهوبات مؤثرات خارج الجامعة ومكتفيات داخلها بدور الأليات المجدات في الدراسة وصاحبات شخصيات قوية. موهوبات يتمنين لو كان فضاء الجامعة فضاء حاضنا وليس فضاء منفرا ومتجاهلا لرصيد إبداعي كفيل بأن يضفي حيوية واشعاعا على الحياة الجامعية.

كلمات مفتاحية: الموهبة الطلابية؛ الجامعة الجزائرية؛ السيرة الذاتية؛ الإبداع؛ اكتشاف المواهب.

Abstract:

The paper deals with the issue of the gifted students within the Algerian university, a space seen as lacking the appropriate means and tools for discovering, monitoring and integrating this particular category of persons. The university is mainly concerned with pedagogy and the scientific achievement, and seldom goes beyond these two spheres so as to be interested in students' capabilities of creativity. We consider these capabilities as a support sustaining knowledge whereas the university sees them as an "outsider" component or even as a waiste of time. Consequently, the university by so doing, causes somehow a

kind of "emptiness" around the issue of the gifted students from an institutional perspective, but dealt with by some teachers owning high abilities in discovering gifted students.

It is in this respect that I approached three of my students, telling them about the topic of the paper and making them write short biographies full of details which enabled me later on to discover new elements explaining to some extent why those students were so distinguished and gifted.

Keywords: gifted students; the discovery of gifted students; Algerian university; biograhies; creativity.

* **المؤلف المرسل**: عبد الرزاق أمقران، **الإيميل**: amokrane60@hotmail.fr

1. مقدمة:

تطمح المقالة المقترحة تبيان العلاقة بين خطاب مهيمن يرتبط بقضايا الجودة وفئة طلابية جامعية تمتلك موهبة نادرا ما يتم اكتشافها ومن ثم رعايتها وتوظيفها على الوجه المتوقع والمفيد.

خطاب الجودة في الجامعة الجزائرية عاجز عن اكتشاف الموهبة في صفوف الطلاب لأنه يتسم بمواصفات لا تتسق والغاية من العمل على عمليات الاكتشاف.

أولا: يقدم في الغالب معرفة معلبة لا تنهل من الواقع المعيش للجامعة ويستمد قوته وأسباب وجوده من أنماط معرفية وقوالب جاهزة تذوب في ما هو معروف ومتعارف عليه حول الموهبة والابداع. وعليه، هذا الخطاب يقدم نفسه كوصفات غير قابلة للمساءلة وتصلح لفهم الحالات المختلفة.

ثانيا: يظهر هذا الخطاب وعلى ضوء العنصر أعلاه كما لو كان دوما خطابا مركزيا يتجه من الأعلى نحو الأسفل وقلما يتيح فضاءات لرجع الصدى متجاهلا أمرا حيويا: الموهبة والابداع منبتهما الواقع وما المعرفة التي تفرزها البحوث والدراسات إلا تجسيدا لما يتجاذبهما واقعيا.

ثالثا: خطاب الجودة في الجامعة يظهر بمظهر الترف الفكري لأن الفضاءات الجامعية تفتقر بشكل جلي للشواهد الواقعية التي تؤكد وجود جودة من أي طبيعة كانت، بل بالعكس ما هو حاضر بقوة يبعد الجامعة عن قضايا الجودة. وبالتالي، يصبح مشروعا الانشغال بماهية خطاب الجودة في الجامعة الجزائرية: هل يستند إلى واقع يشرعن وجوده أم هو خطاب يبحث في ما يجب أن يكون عليه حال الجامعة الجزائرية.

رابعا: حينما نقف للحظة باحثين في هوية من ينتج خطاب الجودة في الجامعة، نكتشف محدودية من أوكلت لهم مهام ترقية خطاب الجودة وقبلها مهام الاستكشاف في الموهبة والابداع. يعين في خلايا الجودة غالبا، عناصر لم يثبت ماضيا أهليتها للاضطلاع بكذا مهام صعبة. وفي المقام الثاني، التعيين يتم

برؤية اختزالية وبطريقة مجحفة تحجم المهام وتجعلها وقفا على بعض من ينتمي إلى تخصصات بعينها دون عدد كبير أخر من التخصصات المعرفية التي لها ارتباطات مفصلية مع قضايا الموهبة الطلابية.

خامسا: يعتمد خطاب الجودة عموما على النشاط الرسمي في مقارباته للموهبة والابداع متجاهلا أن الكثير مما يرتبط بالموهبة الطلابية من طبيعة غير رسمية واكتشافه ومن ثم رعايته يتطلب مقاربات أرضية، لصيقة بالفئة المستهدفة.

وصفنا في العنوان الموهبة الطلابية بالمهدورة لأن الإمكانيات البشرية والمادية المتوافرة في الجامعة الجزائرية كانت كفيلة بأن يعطى لها ما تستحق من الاهتمام والرعاية، لكن للأسباب المذكورة أعلاه وغيرها، بقت الجامعة عاجزة عن تحقيق المتوقع منها في اكتشاف المواهب واكتفت بالمساعي الظرفية والمناسباتية التي وإن أسهمت بالتعريف ببعض المواهب فإنها سرعان ما تنساها. مواهب في الشعر، القصة، المسرح، الموسيقى والفنون التشكيلية، لكن أيضا مواهب تقع في صلب المعرفة والإبداع العلمي. وحينما يتحول فضاء الجامعة إلى فضاء منفر، تبحث تلك المواهب عن حاضنة أخرى تمنحها اعترافا، وعليه نعيش المفارقة المزعجة التالية: طلاب جامعيون موهوبون تحتضنهم فضاءات لا تتكلم كثيرا عن الجودة، لكنها تمارسها باحتراف وتفان.

فكرت في المقاربة الأنسب لإنجاز المقالة فوجهني التفكير نحو عرض حالات طلابية عرفتها ولا أزال عن كثب، تملك من عناصر الموهبة ما يؤهلها للاهتمام البحثي ومن ثم التعريف بها تأكيدا لما أسلفنا ذكره والذي مفاده أن الجامعة الجزائرية تحضن الكثير من المواهب المهدورة.

هذه المقاربة تجعلنا نبتعد عن الأنماط الشائعة في رصد الموهبة والكتابة حولها وتقربنا من الواقع الحاضن لها، الأمر الذي يجعل المقالة تكاد تكون خالية من التطعيم النظري الحاضر بقوة في مقالات مشابهة. الحضور المكثف للتطعيم النظري في الأعمال المهتمة بالموهبة–و إن كان هاما وضروريا النسبة لتلك الأعمال– فإنه باعتقادي المتواضع ليس بتلك الأهمية في المقالة التي ننجز، بل أراه تشويشا على طبيعتها الاستكشافية.[1]

وازنت في إنجاز هذا العمل بين أمرين كل له أهميته:

– أعتمد على المعلومات التي أملك بحق الحالات الطلابية فحسب، وتبين لي أنها شحيحة ولا تسمح يقينا بالحفر في الموضوع.

– أجعل الحالات في وضعية تعلمني بما أتوقعه بعد توضيح المقصد من المقالة.

في الأخير قادني التفكير إلى الجمع بين المعلومات التي أملك والإسهامات الخطية التي وضعت تحت تصرفي.

راسلت الحالات الأربع موضحا الطلب والغاية من العمل، وصلتني إثر ذلك ردود ثلاثة وتذرع "مُحَمَّد" بشتى الذرائع حتى لا يشارك وفهمت استنتاجا أنه يفضل المساهمة الشفهية على ما هو مكتوب، الرفض هذا أتاح لي اكتشاف جانب التحفظ عند طالب حسبته لسنين نموذجا للعفوية والتلقائية.[2]

ردود أفعال الطالبات الثلاث أكد ما افترضناه بقوة: لم يسبق أن وصفن من قبل بالموهوبات، لكن في الوقت نفسه يشعرن دوما أنهن يملكن ما يميزهن عن الطلبة الأخرين.

الإسهامات المكتوبة تبين سهوله تقمص الطالبات لدور الموهوبات وكأنه تحصيل حاصل وليس اكتشاف حل صدفة في حياتهن.

الجدير بالتنبيه هو أني لم أفرض على الطالبات ما يجب كتابته ولا الأسلوب الذي تكتبن به واكتفيت بالتوجيهات العامة المتضمنة في الرسالة. أنبه أيضا أنني قصدت أن لا أتدخل في النصوص المكتوبة وتركتها على حالتها الخام، بمضامينها وأخطاءها وأساليبها بغية عرض الموهبة بمواطن القوة التي تجسدها وبمواطن الضعف الملازمة لها، وأعتقد أنها وسيلة جادة في التقييم. وأخير يجدر التذكير أن الموهوبات الثلاث من قسم علم الاجتماع وقد درسن عندي في أطوار جامعية مختلفة.

2. محاذير منهجية:

وضحنا أعلاه أن المقال يندرج في خانة الدراسات الاستكشافية والتي كما هو معروف تتفرد عموما بترتيبات منهجية خاصة بها ولا تشتغل بالقواعد التي تشتغل بها الدراسات التي تسندها أطر معرفية قائمة بذاتها. وبالتالي، خلو المقال مما كان مألوفا في منهجية إنجاز الدراسات، لا يعني إطلاقا غياب المنهجية، بل يعني حضور وتوظيف ترتيبات منهجية تتسق وطبيعة المقال وغاياته العملية.

أولا: اعتمدت الدراسة الموجهات البحثية بدلا من التساؤلات والفرضيات اتساقا وطبيعتها الاستكشافية. العمل بالتساؤلات أو الفرضيات كان ليخرج الدراسة من طبيعتها ونقلها إلى دراسة تتطلب استحضار المنهج وأدوات جمع المعطيات والعينة وأمور أخرى لم يخطط الباحث لاستحضارها في عمل يرى فيه خطوة أولى في تأسيس موضوع الموهبة في الجامعة في دائرة علم الاجتماع.

ثانيا: الموجهات البحثية لم تكن ضمنية كما قد يخيل للقارئ، بل معبر عنها في فقرات كاملة تتطلب القراءة المتأنية. تطرح الموجهات هذه مسألة الموهوبين في الجامعة و أوجه تحويلهم إلى طاقات مهدورة لافتقار

الجامعة لآليات رصدهم في المقام الأول ثم وسائل رعايتهم ثانيا. كما تطرح الموجهات مسألة مواصفات الموهوبين من الطلبة ومن له الشرعية أو مهمة رصدهم في الفضاء الجامعي.

ثالثا: غاب أسلوب المعاينة والعينة في الدراسة، وهذا واضح، لكن حضرت الحالات وهذا يفي بالغرض على ضوء غايات الدراسة. يجب التنبيه إلى أن الدراسة لا تطمح إلى بلوغ نتائج قابلة للتعميم، بل تبحث عن مسالك في التقرب من الموهوبين في الجامعة على أمل أن نبني عليها في دراسات مستقبلية تكون أكثر صرامة وأكثر شمولا.

رابعا: غاب المنهج بالمعنى الشائع والمتعارف عليه، لكن حضر منهج السير الذاتية بجرعة متواضعة مكنت الدراسة من الوقوف على جملة من العناصر التحليلية التي وردت في النصوص المكتوبة من لدن الحالات الثلاث.

خامسا: غابت أدوات جمع المعطيات بالشكل الشائع الذي تظهر به، لكنها حضرت بشكل مغاير يتسق وطبيعة الدراسة. حضرت الملاحظة في الدراسة حتى وإن لم تحمل هذه الصفة من خلال ما عرضه الباحث من ملاحظات استجمعها طيلة تعامله مع الحالات الثلاث بحكم كونه أستاذا أشرف على تكوينهن لسنوات عدة. الاستجماع هذا القائم على الذاكرة قد نسميه بالملاحظة الاسترجاعية.

وازن الباحث بين إجراء مقابلات حرة أم مقننة مع الحالات الثلاث وبين السعي إلى الحصول على نصوص مكتوبة، فمال إلى النصوص لما قد تتيحه من حرية للمبحوث قد لا تتيحها وضعية الاتصال المباشر.

3. رسالة موجهة للطالبات الموهوبات:

إلتماس مساعدة.

فوزية... سعاد... منال... مُحَمَّد...

اتصلت بكم لأنه بنظري تمثلون بشكل او بأخر مواهب لم تلتفت إليها الجامعة من منطلق ان الجامعة لا تملك الذكاء ولا الطموح المؤديان إلى اكتشاف من استحق الاهتمام، وبالتالي تتفجر تلك الطاقة الكامنة في فضاءات أخرى تعترف بوجودها.

المقالة التي أثريها تقوم على عرض أربع حالات حقيقية لطلاب يعتبرها المربي والباحث الذي أمثل حالات للموهبة المهدورة.[3]

و عليه أنا ألتمس منكم مساعدة قوية في هذا الاتجاه تجعل من مقالتي مقالة استثنائية.

أتوقع منكم كتابة صفحة... صفحتين... ثلاثة أو أكثر وبما ترتاحون له، تبينون فيها سيرتكم الذاتية بشكل دقيق ومرتب... تهمني البيئة الأسرية... يهمني مساركم التعليمي... تهمني الأنشطة التي تقبلون عليها بشغف... يهمني كل شيء في مساراتكم.

لا تبخلوا علي بما أجهله عنكم... أريد وضعيات واقعية عشتموها... حكايات سارة وأخرى حزينة.

لكن يهمني كثيرا أن تجيبوا عن إشكالية المقالة: هل تشعرون أم أنتم مقتنعون أن ما تملكونه من طاقات خلاقة كان بالإمكان أن تستفيد منها الجامعة لو ملكت الذكاء والطموح.

أتوقع منكم تفاعلا إيجابيا مع هذا الالتماس.

4. مؤشرات الموهبة كما اكتشفتها عند الطالبات:

تعاملي لسنوات عدة مع الطالبات الثلاث مكنني من الوقوف على الكثير من خصائص الموهوبين كما هي متداولة في أدبيات الباحثين والدارسين للموهبة والتفوق، أمر شجعني على رعاية هذه الملكات بصمت وتطويرها بالحذر والتدرج المناسبين.

أثمر هذا التوجه مجموعة من الإنجازات كان لها الأثر الواضح على شخصية الطالبات، كما عرفت بهن في وسط الجامعة كعضوات يملكن أكثر من التفوق الدراسي، نجاح جلب لهن الاحترام والتقدير، لكنه أيضا جلب لهن متاعب جمة خاصة على مستوى العلاقات الإنسانية.

أعود في هذا المحور إلى مجموعة من المحطات التي تجسد مؤشرات الموهبة كما اكتشفتها عند فوزية، سعاد ومنال وبعضها ذكر في اسهاماتهن المكتوبة بصورة غير مفصلة.

1.4. مواقف مع فوزية:

أعلمتني ذات يوم وهي طالبة سنة أولى ماستر علم الاجتماع السياسي عن رغبتها الشديدة في المشاركة في أحد ملتقيات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الكائن في الدوحة، قطر والذي يديره المفكر العربي عزمي بشارة. أخبرتها بهدوء وبنبرة واثقة أن هذا الأمر سيتحقق لها إن كانت رغبتها حقيقية وليست ظرفية.

نسيت الموضوع وهي لم تنس، فعادت تخبرني عن إشكالية ملتقى تدرس قضايا العنف في المجتمعات العربية فاتفقنا على أن تشتغل على زاوية دقيقة ترتبط بالجزائر وأمضينا فترة نفكر في الملخص وهي تصوغه بأسلوبها الخاص. حينما وصلت إلى قناعة أن الملخص أصبح ناضجا، مضمونا وشكلا، صدمتها بقولي أن

الموضوع الذي اخترته لن يقتلع القبول من اللجنة العلمية للملتقى لأنه "عادي" وسينافسك فيه الكثير ممن يود الحضور.

فوزية ولأنها تجيد الإصغاء، جلست معي لمدة ربع ساعة تستمع للمقترح الجديد الذي يهتم بأسر ضحايا عنف التسعينيات في الجزائر وكيف تحولت في فترة السلم إلى "سجل تجاري" في يد كل الأطراف الحاضرة في المشهد الجزائري. موضوع نادر أبدعت فيه فوزية ومكنها من الحضور في الملتقى الذي نظم في تونس، انجاز لم يسبقها إليه أي طالب ماستر في جامعة سطيف. مع العلم أن مداخلتها قد نشرت في كتاب جماعي مسوق على مستوى الوطن العربي.

تحد ثان جمعني مع فوزية متمثلا في نشر كتاب جماعي أسهمت فيه بمقالة قوية كتبتها كما لو أنها ستنشر في مجلة أكاديمية محكمة. كتاب جمعت فيه الخواطر التي أكتب على الفيسبوك وطلبت منها أن تنجز بحقها قراءة سوسيولوجية من المنطلقات التي تراها مناسبة وبالأسلوب الذي تختاره، ففعلت ونشر الكتاب الموسوم" جرعات من السوسيولوجيا على الفيسبوك".

يبقى أن أذكر جانبا حياتيا لم يحضر في اسهامها المكتوب هو تمكنها في أداء الأعمال الفلاحية في مزرعة الأب، تقوم بكل الأنشطة التي من المفروض أن يقوم بها اخوانها، الأمر الذي جعل الأب يعتمد عليها ولا يعتمد على أبناءه.

2.4. مواقف مع سعاد:

سعاد تشبه فوزية ومنال في ملكة الشغف بالتحديات، أمر مكنني في تمرير موضوع مذكرة الليسانس بسهولة في سياق يمقت المواضيع الجديدة أو التي "تفتقر للمراجع". قبلت سعاد أن تنجز موضوعا حول: الرصيف في المدينة الجزائرية كأول طالب في الجامعة الجزائرية ينجز دراسة في هذا المجال البحثي.

عمل سعاد عبد الطريق للكثير من الطلبة على المستوى الوطني وفرض الموضوع نفسه على مستوى أقسام علم الاجتماع. لكن الأهم هو أن هذا الموضوع الجنيني تحول إلى مشروع بحث معتمد وممول من طرف المركز الوطني للأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية بوهران، وقبل ذلك حضر في الملتقى الثالث (2017) للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية، لبنان، كجلسة مقترحة ومنظمة من طرف باحثين جزائريين.

روح التحدي المتزاوجة بحب المغامرة المحسوبة عند سعاد جعلني أختار لها موضوعا مناسبا لمذكرة تخرجها المكملة للماستر في علم الاجتماع الحضري. اقترحت عليها أن تدرس ووافقت: الخطاب النسوي

في الفضاءات المغلقة. دراسة استكشافية تحولت بعد تنقيح وتطوير إلى مقالة نشرت مؤخرا في كتاب جماعي شارك فيه ثلة من الباحثين الجزائريين يتدارسون فيه قضايا المرأة.

3.4. مواقف مع منال:

شغف سعاد بالمسرح عظيم جدا وقد أبرزته في اسهامها المكتوب، وقد اكتشفته حينما كلمتني منذ سنوات بشأن موضوع مذكرة التخرج المكملة لماستر علم الاجتماع الثقافي. أرادت أن تنجز دراسة حول المسرح والطفل في مدينة سطيف فكان لها ما أرادت.

علمت مع مرور الوقت أن اختيارها لي كمشرف لعملها لم يكن قائما على الصدفة، بل جاء بعد تقص كشفها لها أنني أشرفت في السابق على عمل مشابه، خطوة فيها الكثير من الذكاء والتصميم على ضمان الاتساق بين الفكرة وترتيبات تنفيذها.

خرجت منال يوم مناقشة عملها عن المألوف فأحضرت لوازم مسرح مصغر، وحضر المهرجون وألوانهم وحضر الصغار، وكابدت مشاقا عظيمة حتى أقنعت الإدارة منحها الترخيص لتحقيق فكرتها.

منال صديقة افتراضية إضافة إلى كونها طالبتي لسنوات عدة، تتابع خواطري على الفيسبوك بصمت ولا تعلق إلا نادرا، لكنها حينما تعلق تحدث الفارق. تملك قوة بديهة متطورة تسمح لها باقتراح البديل لما تقرأ في ظرف زمني وجيز. كتبت خاطرة على ألبوم صور حينما يكون خاليا من صور الأب، فكتبت ردا عليها خاطرة نشرتها على صفحتي تبين بأسلوب رائع كيف أن والدها يغطي الفضاء كله في أسرتها. كتبت في الأسابيع الماضية خاطرة ربطت فيها بين القمامة التي تتوسط طريق السيارات في مجموعة من الأحياء لمدينة سطيف، ربطتها بروح التحدي وعدم الاعتراف بالقانون، فاستأذنتني في توضيح الأمر من خلال خاطرة نشرتها على صفحتي تبين أن ذلك ترتيب مقصود من طرف مصالح البلدية وليس له علاقة بالتمرد، أمر تعلمه لأنها كانت عضوة في المجلس البلدي.

5. عرض الحالات الطلابية:

الموهوبون حينما يتكلمون عن أنفسهم يذكرون من التفاصيل والأحداث ما قد ينبه الباحثين إلى قضايا لم يطلها تفكيرهم من قبل في دراستهم للموهبة وخصائصها. وعليه، سماع صوتهم وقراءة عصارة ما يفكرون فيه باعتقادي وسيلة هامة في رصد وفهم نفسيات الموهوبين والتركيبات الذهنية لديهم.

افترضت أنني أعرف الكثير عن الموهوبات الثلاث، لكن افترضت في نفس الوقت أنني أجهل الكثير عنهن على الرغم أنني أحسب نفسي مربيا وباحثا له قدرة على رصد المواهب.

ما كتبته الطالبات الثلاث بصدق كبير وتفان يمثل باعتقادي المتواضع مادة خام من الضروري الاشتغال عليها معرفيا، ليس في هذه المقالة فحسب، لكن أيضا في أعمال أخرى.

1.5. حالة منال:

نشأت في أسرة متواضعة من الطبقة الوسطى، حيث كان والدي يعمل كضابط شرطة، وتنتمي أمي لأسرة ثرية، وأنا البنت الصغرى من أصل ثمانية أبناء، توفيت أخت لي قبل أن أولد بثلاث سنوات، وكانت تبلغ من العمر عشر سنوات ربما هذا جعل أمي تعاملني معاملة خاصة خشية فقدي يوما ما، وأنا البنت المدللة لأبيها، أتبعه كظله أينما ذهب، وهو صديقي مذ كنت صغيرة جدا، بذلك فهو مثلي الأعلى في كل شيء، تربيت في أسرة محافظة لم تعرف الهوائيات المقعرة (البارابول) إلا في وقت متأخر فنشأت على ما كان يبث في القنوات الوطنية ولأنه لا خيار لدينا فكنا نشاهد كل البرامج دون استثناء من نشرة الأخبار إلى الأشرطة الوثائقية إلى الحصص المملة والنقل المباشر لدورات المجلس الشعبي الوطني، وحتى الرياضة وكل ما كان يعرض، أختي الكبرى تزوجت ابن خالنا، وهو فنان تشكيلي شهير في الجزائر وخارجها، (ولوحاته تدرس في عديد معاهد الفنون الجميلة وله خطوط عربية متوفرة على الوورد)، كنت لما أزور بيته أبقى مبهورة بورشته وترتيبها وكل الكتب التي كانت متوفرة لديه وطريقة تنظيمها، أدوات الرسم، اللوحات المعلقة هنا وهناك، وأخرى بانتظار أن تكتمل وتلك الرائحة المميزة للصباغ، وكانت ورشته تطل على حديقة صغيرة للبيت، كان ذلك الجو الساحر يبهرني، لما تزوجت أختي كنت أبلغ من العمر 6 سنوات، في سن السابعة ذهبت لزيارتها وهي تقطن في دائرة بعيدة عن مدينتي، ومكثت عندهم عدة أيام، كان ذلك الجو مشجعا جدا للإبداع، أهدتني أختي كراسا عاديا واقترحت علي أن أمضي الوقت بكتابة شيء ما، وهنا فكرت بكتابة قصة مغامرات، بدأت الفكرة بسيطة، ولكن طورتها وقتها إلى قصة من عدة مغامرات –ولا أزال أحتفظ بها لليوم مع أن النسخة الأصلية ضاعت–، وكان زوج أختي يعمل مع أحد الصحف وقتها فاقترحت علي أختي أن تُنشر قصتي خصوصا وأنهم في التلفاز عرضوا قصة طفل تم نشرها في الصحف، لكني رفضت لأني كنت أخطط لتنشر على شكل قصص للأطفال، الآن لا أذكر حتى كيف نسيت الأمر...

في المدرسة، درست في مدرسة قريبة من البيت وسط المدينة ومن سوء حظي أو حسنه أني درست مع زملاء من "الصفوة" إبنة مفتش وأبناء معلمين وأقرباء المدير وبنت طبيب وأثرياء... وهم بذلك يحظون باهتمام بالغ وبجو أسري يجعلهم من الطبيعي أن يتفوقوا على غيرهم برأس مال ثقافي موروث يكرسه النظام

السائد، ما كان يعني ألا أحلم مطلقا بالمرتبة الأولى في الدراسة، وكانت الدراسة تعرف منافسة قوية وشديدة، حتى كنت أرى نفسي في شخصية ماروكو الكارتونية، لكني كنت أبحث دائما عن شيء أتميز به عن البقية، فلا تلك اللّمجة التي يتفاخرون بها وقت الاستراحة من مستواي، ولا أدواتي المدرسية كأدواتهم الفاخرة التي تأتيهم من البلاد الأوروبية، ولا أنا جيدة في الحفظ إذ كان أسوأ كوابيسي، لكني كنت بمقابل ذلك أبرع في حصة اللغة العربية، وأتحصل على أعلى علامة فيما كان يسمى "دراسة النص" ولم يستطع وقتها أحد أن يأخذ علامة أحسن مني وكان ذلك مصدر فخري وكبريائي، كنت ممتازة في الرياضيات والمواد الأساسية، وكانت حصة المطالعة التي تخصص لنا كل يوم خميس هي الحصة التي أنتظرها بفارغ الصبر إذ كان زملائي يقضون الحصة في قراءة قصة واحدة في حين أكون قد أنهيت الكثير، حتى قرأت كل القصص التي كانت متوفرة، كما كنت أبرع في التعبير الشفهي والكتابي، ولا أتكلم إلا بالعربية الفصحى، حتى أن إبنة الطبيب مرة طلبت مني أن أكتب لها التعبير الكتابي وفعلت ذلك وكتبت واحدا لي داخل الحصة وكان الاثنان مكتوبان بطريقتين مختلفتين وأسلوبين مختلفين مما جعل المعلمة تدهش من ذلك، كان زملائي ينادونني بالشاعرة لأني كنت أجيد قراءة الشعر وكانت لي محاولات بسيطة في الأمر... وكان أول بحث أقوم به عن الشهيد الذي سميت مدرستنا الابتدائية باسمه "الشيخ عادل"، تعبت فيه كثيرا أنا وزميلاتي وكان العثور على بقية أهله صعبا جدا، خلاصة بحثنا كتب وعلق في إطار داخل مكتب المدير وكان الجائزة التي قدمها لنا المدير حبة حلوى (مصاصة).

في المتوسطة، تشاء الأقدار أيضا أن أدرس بقسم بنفس تلك المواصفات السابقة، هنا درست عند أستاذ مميز لمادة التاريخ والجغرافيا وأصبحت مهتمة بهذه المادة وأطالع حولها خصوصا أن المقرر كان حول الحضارات القديمة وهو موضوع استهواني كثيرا كنت أرى نفسي أسافر عبر الزمن، من حضارة لأخرى وأشهد الحروب والانتصارات...وأكثر درس مؤثر وقتها كان في مادة اللغة الفرنسية نص للكاتب مُحَمَّد ديب من روايته الدار الكبيرة، أين يتحدث معلم عمار عن الوطنية وكيف يخاطر ليعلمهم حقيقة أن فرنسا ليس أمهم المزعومة... ثاني بحث مميز أقوم به كان حول مدينة جميلة الأثرية، وكانت مكافأة المشاركين ببحوثهم الذهاب في رحلة للمدينة الأثرية.

تم اختياري في حفل نهاية السنة لإلقاء كلمة باسم تلاميذ السنة السابعة، في الحفل البهيج، ألقى التلاميذ الذين يكبرونني ممثلو السنوات اللاحقة كلمتهم ثم جاء دوري، وكان والدي حاضرا، وكانت أول مرة أقف أمام الجمهور، قدمت الكلمة وما أن أنهيتها حتى امتلأت القاعة بالتصفيقات ولم يدعني بعض

الأولياء أعود إلى مكاني حتى شبعت قبلات، وتبريكات، وكان أبي منبهرا بي ولم يكن يعلم أني هكذا، نسيت تفصيلا مهما عني، وهو أني فتاة خجولة جدا بطبعي، كيف استطعت ذلك بالرغم من خجلي، جعلتني تلك الفرصة أكتشف شيئا دفينا بداخلي...

في هذه المرحلة من عمري كنت مهووسة بالأشغال اليدوية أيام العطل، حولت ركنا من المنزل إلى كومة خردة على تعبير أمي، وكنت أعمد إلى استخدام النشارة والصمغ أولا ثم تحولت إلى الجبس ووضع خليط منه مع الماء داخل قوالب ثم أقوم بتزيين تلك الأشكال المستخرجة وتلوينها، وصنعت إصيصات للزهور، وإطارات للتعليق بقالب صحن، ثم اهتديت لفكرة استخدام قوالب الكعك وأزينها وألونها لتصبح "تارتات" مزيفة وحبات كعك أعياد ملونة بطريقة لا تميزها عن الحقيقية، حتى أني أهديت واحدا منها لصديقتي يوم زرتها في بيتها للذكرى، وأمها اعتقدت أنها كعكة حقيقية وذهبت لتحضر السكين كان موقفا محرجا لي حينها، لكن الآن لما أتذكره أضحك.

وفي هذه المرحلة وقبلها أصبحت خالة وعمة، وأنا صغيرة فكان الأولاد يرونني مثلهم الأعلى، فكلهم دون استثناء لما يطلب منهم في المدرسة أن يرسلوا رسالة تكتب تلك الرسالة للخالة–العمة المحبوبة، وكانوا ينتظرون العطل بفارغ الصبر ليأتوا ويقضوها عندنا، كنت أخصص وقتي كله لهم، ونقوم سويا بالأشغال اليدوية، وكنت أروي لهم الحكايات من نسج الخيال وللأسف لم أدون ما كنت أرويه لهم، كنت وقتها أيضا مهتمة بالمسرح حيث تجمعت أنا وصديقاتي لننجز عرضا مسرحيا كتبت قصته صديقتي وأعطوني دور "الأميرة المسحورة"، وسمحوا لنا بالتدرب في قاعة الأفراح (المتواجدة أمام عين الفوارة)، وكانت هذه المسرحية لنقدمها يوم العلم، بعدها اقترح علينا أحد العاملين هناك أن نسجل في فرقة المسرح، فهذا أفضل، ولأن التسجيل يتطلب مصادقة في البلدية وحضورا شخصيا للأب، رفض أبي ذلك. ونسيت أنا فكرة المسرح.

في المرحلة الثانوية تمكنت أخيرا من الظفر بالمرتبة الأولى في القسم، واحترت أن اختار تخصصا أدبيا أو علميا، نصحني العديد أن أختار تخصص العلوم الطبيعية بما أن علاماتي ممتازة خصوصا أن التخصصات الأدبية يوجه لها التلاميذ الذين لم يتحصوا على معدلات عالية وتعم فيها الفوضى وعدم الجدية في الدراسة وبعدها لي أن أختار ما أشاء بعد الباكالوريا، وهو ما حصل بالفعل.

كانت مرحلة الثانوي أول تجربة لي في الإضرابات والاحتجاجات، ثانويتي تقع وسط المدينة ورغم ذلك لم تكن تتوفر على الشروط الإنسانية البسيطة، كنا نجد صعوبة في الكتابة من شدة البرد كانت

أصابعنا تنتفخ وتحمر وتتجمد، النوافذ مكسورة والتدفئة غائبة، كان أستاذ اللغة العربية قد طلب منا وقتها أن ننجز بحثا حول ثانويتنا، كنت الوحيدة في قسمي التي اهتمت بالموضوع، وكنت قد ذهبت للإدارة وقتها وأخذت معلومات عديدة حول الثانوية وتعداد التلاميذ والأساتذة وحتى العمال، والكثير من التفاصيل، بالعودة إلى البرودة الشديدة التي كنا نعاني منها قررنا ذات صباح ألا ندخل القسم وأضربنا عن الدراسة، حينها أتى المدير وأدخلنا القسم للتفاوض، كان ينتظر أن يتكلم التلاميذ "المشاغبون" حتى يسكتهم ويقول لهم أنتم لا تحبون الدراسة، وهذا جوهر امتناعكم عن دخول حجرة الدراسة، لكن كان أحسن التلاميذ من تكلم أولا باسمنا وتحدث بلغة لبقة وطالب المدير بعمال الصيانة، فأخبره المدير أن عمال الصيانة في ثانوية بحجم ثانويتنا عددهم ثلاثة فقط، هنا رفعت يدي وأخرجت من المحفظة الأوراق، وواجهته بالأرقام والمعطيات الصادرة من مكتب أمانته، عدد عمال الصيانة كيت وكيت ونحن يوم السبت لماذا لم يقوموا بالعمل نهاية الأسبوع، وانهالت عليه الحجج، وسط دهشة أستاذ الرياضيات وتصفيقات الزملاء.

شهدت فترة دراستي في الثانوية الحرب على العراق، تابعت تفاصيل ما حصل وتأثرت ككل الناس وقتها كانت صدمة كبيرة... العام الذي بعده عرف استشهاد الشيخ أحمد يسين ثم الرنتيسي، أصبح حلمي أن أكون صحفية "مراسلة حربية" في فلسطين، بهذا أصبحت لي اهتمامات سياسية وإعلامية...

في الجامعة، درست أولا علوم الاعلام والاتصال، ولأن القسم كان جديدا في الجامعة فلم يكن تخصص السمعي- بصري متاحا، اخترت تخصص العلاقات العامة، وكنت عضوا مؤسسا للنادي الإعلامي الطلابي في الجامعة وقمت بعديد النشاطات من خلاله، كانت تمثل نوعا من الممارسة الميدانية والفعلية لما كنا ندرسه أو نطمح إليه كصحفيي المستقبل، في الجامعة كذلك نجحت بالظفر بجائزة أحسن مقال ضمن مسابقة أعدها النادي وأشرف عليها قسم الاعلام والاتصال، لم أكن أترك تظاهرة إلا وحضرتها، استفدت من كل ما كانت توفره الجامعة كفضاء مفتوح على الطلبة، بالنسبة للتنظيمات الطلابية فلم تكن لي علاقات معها بسبب رأيي الخاص فيها، ما تعلمته من "الصحافة" لم يكن كافيا بالنسبة لي لمعالجة قضايا المجتمع بعمق، تخصص علم الاجتماع كان يثير اهتمامي حتى قبل أن أدخل قسم الاعلام لما كنت أحضر محاضرات لبعض أساتذة علم الاجتماع شعرت باهتمام بالغ بهذا العلم فهو يغطي النقص الذي وجدته في الاعلام والاتصال.

انهيت دراستي في العلاقات العامة، وأصبحت أبحث عن عمل كانت لي بعض التجارب القصيرة مع الصحف ثم فكرت في أن أدرس من جديد كسبا للوقت بدل انتظار الحصول على عمل، وتمكنت من

دخول قسم علم الاجتماع (كوني أحمل شهادتين اثنتين للباكالوريا)، بعدها بسنة تحصلت على عمل ضمن عقود ما قبل التشغيل في الدائرة، ولم أكن أرغب في إيقاف الدراسة فعملت أيام العطل مقابل أيام راحة وسط الأسبوع أتمكن من خلالها مواصلة دراستي بشكل عادي، بهذا كان جدول الأسبوع ممتلئا عن بكرة أبيه، عمل ودراسة ونشاط حزبي.

نعم نشاط حزبي، "قررت دخول عالم السياسة رفقة مجموعة من زملائي من قسم العلام والاتصال، والوجهة حزب جبهة التحرير الوطني، سنة 2008 لنكوّن خلية على مستوى القسمة، فوجئت بأن وجدنا الأبواب مفتوحة وقدمت لنا كل التسهيلات، وهذا من خلال الأشهر الأولى. كان حزب جبهة التحرير يشهد حركية كبيرة على مستوى قواعده وكانت تُنظَّم العديد من الأنشطة داخل القسمة، وكانت تعقد ندوات سياسية. بداية ظهوري كانت بالتدخل وطرح الأسئلة على المحاضرين، هنا انتبه لي محافظ الولاية، وسجلوا اسمي عندهم كمناضلة دائمة الحضور والانضباط، وفي نفس هذه المرحلة كان الحزب على مستوى قيادته يهيئ لأمر مهم كنت أجهله، صائفة العام 2009 تم اختياري مع مجموعة من هؤلاء الزملاء القدامى وعددنا 5 ،4 ذكور وأنا فتاة لنمثل محافظة سطيف في العاصمة في مركب سيدي فرج في ملتقى وطني يدوم على ما أذكر خمسة أيام، يمثله شباب من مختلف ربوع الوطن، شهدت الأيام التكوينية الخاصة بالشباب في سيدي فرج العاصمة، نشاطا مكثفا، كان يتواصل إلى منتصف الليل، تحت إشراف مباشر من الأمين العام للحزب السيد عبد العزيز بلخادم، وكان حينها ممثلا شخصيا لرئيس الجمهورية، كما حضر اللقاء عدد من الوزراء التابعين للحزب، وكانت تلك أول مرة أحتك بشخصيات نافذة في الدولة، وهذا كان الهدف، يتناولون معنا وجبات الطعام، كما طلب منهم الأمين العام أن يتركوا المكان للشباب وجلس هو والوزراء آخر الجموع، أثناء المحاضرات، انتهزت هذه الفرصة للتعرف على كل من أصادفه من شباب وشابات الحزب من مختلف الولايات، وهران، العاصمة، تمنراست، سوق أهراس، عنابة، الأغواط...، كنت كمن يخرج لأول مرة من بيته بالفعل ليكتشف العالم الخارجي، أجمع الملاحظات باهتمام بالغ، ولم يبخل علي الشباب من الولايات الأخرى بمعلومات جد هامة عن خبايا السياسة والحزب، وتصرفات البعض وحذروني من البعض الآخر، وكانت الفرصة أن أشاهد العرض الأول لفيلم مصطفى بن بولعيد بحضور الممثل حسان قشاش ومخرج الفيلم أحمد راشدي، أن تشاهد فيلما –عبر شاشة عرض سينيمائي عملاقة– لبطل من أبطال الثورة التحريرية وأنت تدخل في عمق النضال السياسي في حزب جبهة التحرير الوطني (حزب الثورة) إحساس لا يوصف.

أتت رحلة سيدي فرج بفائدة كبيرة علي، إذ اتضح أن قيادة الحزب اختارت شبابا لتكوينهم في سيدي فرج ولمواصلة متابعتهم ومساندتهم حتى يتدرجوا في المسؤوليات والمناصب داخل الحزب والمجالس المنتخبة.

أكتوبر 2010 نُضّم لقاء جهوي يضم ولايات الشرق، وهذا في ولايتي، وكان اللقاء مخصصا للشباب، ويحمل عنوان "تكوين الشباب في فن الخطابة"، حيث تختار كل محافظة ممثلا عنها من الشباب، يلقي خطابا سياسيا بموضوع محدد، ويحضر اللقاء دكاترة ومختصون ليقيّموا الشباب بعد تقديم محاضرات حول فنون الخطابة.

كنت متخرجة حديثا من قسم الاعلام والاتصال وقتها، ولا أزال أبحث عن عمل، كنت بذلك أحس بالشباب المتعلمين البطالين، وأحس بمعاناة الشعب من العمق.

على مستوى المحافظة تم استدعاء مجموعة شباب وفتيات وعرض علينا أمر اللقاء الجهوي، ومن يريد تمثيل المحافظة يقدم محاولة، حيث تم استدعاء مختص في الاعلام على مستوى المحافظة وهو مدير إذاعة جهوية سابق ونائب في البرلمان، ليقيّم أحسن خطاب ويكون صاحبه بذلك ممثلا للمحافظة يوم اللقاء الجهوي، بعد عرض محاولاتنا على مدير الإذاعة والمحافظ، استقر الخيار عليّ.

وجاء اليوم الموعود، حضر اللقاء الأمين العام للحزب شخصيا رفقة عضوي المكتب السياسي السيد عبد القادر زحالي مسؤول أمانة الشباب والطلبة، والسيد عبد الرحمن بلعياط مسؤول أمانة التدريب والتكوين، قدّم الدكاترة محاضرات حول فنيات تحرير الخطاب السياسي وفنون التقديم، وكذا قدم الأمين العام السيد عبد العزيز بلخادم خطابا حول تجربته الخاصة والنصائح التي يقدمها للشباب، ليأتي بعدها وقت تقديم ممثلي المحافظات لمحاولاتهم، والبداية مع المحافظة المضيفة، كنت على أحر من الجمر أريد أن أبدأ في أسرع وقت، كان الحماس يسيطر علي كليّا،

كانت أول مرة أقف فيها أمام ذاك العدد من الجمهور وأمام شخصيات نافذة، لكن كنت أركز على الرسالة التي أردت أن أنقلها بصدق وعفوية إلى كل هؤلاء، مسؤولو الحزب على مستوى الجهاز وعلى مستوى القاعدة، رئيس البلدية، منتخبون ونواب برلمان، وشباب من كل ولايات الشرق الجزائري، خطاب حررته بطريقتي الخاصة وتدربت عليه كثيرا، كانت بداية الخطابات بذلك قوية جدا بي وعمت التصفيقات أرجاء القاعة، حينها بكى محافظ سطيف من شدة التأثر فنجاحي في الخطاب بتلك الطريقة زاد من قيمة نجاح الملتقى المنضّم في محافظته ودل على حسن اختياره وعزّز مكانته أمام أمين الحزب، كان كل شاب

يقدم بعدي يرفع من قيمة خطابي، بعدها جاء تعقيب المختصين والأمين العام ورجحوا بكل وضوح خطابي، في هذه الأثناء استدعوني للكواليس لنحرر البيان الختامي للقاء، وأقرأه على جموع الحاضرين.

بعد فترة قصيرة اتصل بي بعض الشباب الذين تعرفت عليهم في ملتقى سيدي فرج وأخبرني أحدهم من وهران أن الأمين العام للحزب ذكر اسمي في اللقاء الجهوي للغرب وقال لهم "أبهرتنا"، بعد انتهاء سلسلة اللقاءات الجوارية تم تعيين صاحب أحسن خطاب بين الشباب ليمثل الجزائر في تونس في مؤتمر عالمي حول الشباب السياسيين، فاتصلت بي القيادة لهذا الغرض. كانت هذه الخطوة هي الباب الذي فُتح على مصراعيه أمامي داخل الحزب ورفع الأمل في فترة بذل فيها القائمون على الحزب مجهودات جبارة لاختيار أحسن الشباب ليعدوهم لخلافة القدامى في الحزب، كان مشروعا طموحا جدا، يعتمد على اختيار الكفاءات وتكوينهم وتدريبهم، في خطوة شجاعة لتجديد الحزب، للأسف كانت هذه الخطوة لتقضي على السيد عبد العزيز بلخادم، فكان من شيوخ الحزب أن يثوروا لأن أماكنهم هددت بشكل مباشر مع مسعى التجديد، وبدأ الغليان داخل الحزب من طرف الشيوخ يتصاعد وأخذوا يشكلون جبهة ضد الأمين العام..."

تجربتي في السياسة تحمل الكثير من التفاصيل لا يسمح المقام لذكرها كلها، كللت بترشيحي للبرلمان مرتين وبنجاحي في تصدر القائمة في النساء خلال الانتخابات المحلية 2017/2012، أشغل حاليا منصب عضو مكتب محافظة سطيف ورئيسة لجنة المرأة في الحزب.

بالعودة إلى الحديث عن علم الاجتماع، فتجربة العمل والسياسة والمنصب السياسي داخل المجلس البلدي تزامن كله ودراستي الليسانس والماستر والدكتوراه حاليا.

قد لا أكون موهوبة ولكن طموحة مع تغيير مستمر في الخطط، البحث العلمي يستهويني تماما كالعمل الإعلامي أو الروائي، وعلى ذكر الكتابة فلدي مسودة رواية تنتظر الفرج، كما أخطط لأن انتهي كيف بدأت كاتبة لقصص الأطفال وأرغب في فتح روضة أطفال بعد تقاعدي من التدريس.

سيرى القارئ الكريم أنني أضعت الكثير من الجهد هنا وهناك وهذا صحيح، كان بالإمكان مع بعض التشجيع أن يتم اكتشاف موهبتي وجعلي أركز وأعمل على تطويرها، وهذا ما تفتقره مدارسنا بمختلف أطوارها، لو تم اكتشاف موهبتي في الكتابة وأنا طفلة ربما لكان الحال غير الحال، وحتى داخل الجامعة فالفضاء بما يحمله من مصالح للثقافة ونوادي لا يشجع كثيرا على الابداع ولا يرقى لمستوى أن

يلتف حوله الطلبة ويجلب انتباههم نظرا لما لا يتوفر على إمكانات وعلى استراتيجيات وأهداف واضحة غير الترفيه والرحلات في أحسن الأحوال.

2.5. حالة سعاد:

سيرتي الذاتية المتواضعة:

قد نختار مساراتنا في الحياة وقد تختارنا هي، فتلعب الصدف لعبتها في منظومتنا المستقبلية، وتتغير كل خططنا، فتتغير وفقها أحلامنا، كنت تلك الفتاة الصغيرة الهادئة بوجه ملائكي، لا أثير المشاكل، أهتم بلعبي، أحب اللعب بالدمى وكم كنت أحب أن اصنع عرائسي بنفسي وارسم ملامح وجوههن بقلم كحل أمي. دخلت الدراسة في سن الخامسة، كان عالم مليء بالمفاجآت وكنت أنتظره بفراغ الصبر فلطالما ذهب إخوتي للدراسة وبقيت أنا بالمنزل أنتظر قدومهم لأستغل أدواتهم فأقوم بخربشاتي. وأتدرب على الكتابة. تأقلمت بسرعة مع المدرسة وأتقنت كتابة الحروف بالريشة والحبر، دائما حريصة على نظافة كراسي وطاولتي وحتى ثيابي ولا أزال أحتفظ بدفتري المدرسي.

كنت مجتهدة في دروسي حريصة على حل واجباتي تعلمت الحساب الذهني السريع وفي نفس الوقت أمتلك القدرة على الحفظ بالسمع، فكل ما يقرأه المعلم أعيده له حرفيا، وكان معلمي يعجب بما أكتبه في حصة التعبير ويخبرني دائما لو لم أكتب أما عينه لشك أن إخوتي من قاموا بذلك، في حصة المطالعة كنت أطالع كتب لا قصص الأطفال، فمكتبة أخي الكبر كانت تغريني، فاستعير كتبه، خاصة بعض الكتب الدينية التي تساعدني في حل المسابقات بالمسجد، أين كنت أحضر حلقات للدروس كل يوم خميس واتابع حفظ القران صباح كل جمعة، في نفس الوقت كنت لا أهمل وقت لعبي وأحيانا ألعب أكثر مما ادرس، في أحد المرات لم أراجع دروسي للامتحان وتوعدتني أمي بالعقاب إن تراجعت نقاطي، لكني فاجأتها بالمرتبة الأولى لدرجة أنها اتصلت بالمعلم واستفسرت على نقاطي، فأخبرها بأني جد ذكية وسريعة الحفظ وأن هادئة بالقسم وكل كراستي منظمة ونظيفة، ولا دعي للقلق .شهادة معلمي أعطتني مساحة اكبر من الحرية في البيت وأصبحت أمارس كل هوايتي بلا عتاب أمي وأبي.

منذ طفولتي كانت لي عوالمي الخاصة أحب السفر والرسم والرياضة والموسيقى والكتابة، لم أكن أتوقع على أي كوكب منهم سأستقر، برغم كنت متفوقة في الدراسة، كنت أحب اللعب لدرجة الجنون، أمارس رياضة الجمباز وكنت أسافر كل نهاية الأسبوع مع الفريق في رحلة إلى بعض المدن السياحية في

الجزائر، كما كنا نسافر مع العائلة إلى تونس عبر القطار، تلك الرحلات الممتعة التي لا تزال عالقة بالذاكرة.

بتتويجي بشهادة السنة السادسة أساسي وبالمرتبة الثانية على مستوى المدرسة التحقت المدرسة الأساسية، مرحلة اخرى رسمت معالم حياتي العلمية وتوجت بجوائز عديدة وكنت اختار لتمثيل المؤسسة في المسابقات العلمية كانت علامتي في مواد العلمية مرتفعة لدرجة أن احد أستاذة الفيزياء تحداني في الإمتحان وأن أكبر علامة عنده لا تتجاوز 12 من 20 لكن كسبت التحدي وتحصلت 19.5 من20 واجبرته على احترام قدرات التلاميذ.

اهم شيء أنه كانت لنا حصة خاصة بالرسم وأخرى بالرياضة وثالثة بالموسيقى كانت بمثابة ميزان لنفسيتي ووجت فيها ضالتي .كان العام الدراسي يمر بدون شعور مني لأني كنت أحب الدراسة والبحث ويأتي موسم الصيف والعطلة أين اقضيه بين السفر سواء بمخيف صيفي أو بالأرياف وأيضا بتعلم التطريز والخياطة وشيئا فشيئا أصبحت خياطة ماهرة وأصمم لباسي من دون مساعدة أحد.

انتهت هذه المرحلة بتتويجي بشهادة التعليم الأساسي وبمعدل 17 من20 ووجهة للثانوية تخصص علوم الطبيعة والحياة وبدأت الرحلة مع التخصص والمعرفة والبحوث، حتى مراهقتي وافقت نهاية الثمانينات وبداية التسعينيات وظهور الحركة السلفية وتوغلها بالمدارس والأحياء وبدأت أسمع بتحريم الفنون والرياضة، تنازلت على الرياضة لدواعي أمنية لأني كنت مضطرة للعودة من التدريبات ليلا، مع ذلك كان صوت عقلي لا يسمع ولا يقتنع بفتواهم التي كانت تطاردني في كل مكان .

بعد مسار دراسي حافل بالتفوق، أفاجئ بإخفاق بالثانوية الذي بدد أحلامي وغير كل مسار حياتي بعد أن كان حلمي أن أتكون في تخصص علمي تقني، إلا أن ذلك الحلم تبدد مع بداية الأزمة السياسية في البلد وتم تسريب مواضيع البكلوريا والتلاعب بالنقاط . الأمر كان صدمة لأساتذتي وعائلتي لكن، ليس باليد حيلة ،فقررت أن امتنع عن إعادة السنة والذهاب للتكوين المهني، أين تحصلت على شهادة مكنتني من ولوج عالم الشغل، والحصول على الحرية المادية وتحرر نوع ما من الوصايا العائلية.

في هذه الفترة وجدت بالصدفة إعلان عن مسابقة في القصة القصيرة حول الثورة التحريرية فشاركت بقصة كان عنوانها فضلت أن تكون عروسا في الجنة بعد شهرين تلقيت دعوة لحضور احتفال تسليم الجوائز وتفاجئ ولداي بالقصة، توجت بالمرتبة الثالثة مع كبار كتاب .

في نفس الوقت بدأت في متابعة دروس الرسم في ورشة دار الثقافة التي كانت بالقرب من مكان عملي والتي مكنتني من صقل موهبتي بطريقة أكاديمية علمية وفي نفس السنة تحصلت شهادة البكلوريا، دخلت الجامعة تخصص تقني ولكن لكثرة التزاماتي في العمل اضطررت لتوقيف الدراسة، واكتفيت بشهادة تقني في الإعلام الآلي.

واصلت التدريبات في الرسم وبعد أربع سنوات دخلت عالم الاحترافية، فكانت لي مشاركات في صالونات وملتقيات فنية عديدة، لكن حلمي الفني كان أكبر من مجرد مشاركة عابرة وشهادة ورقية في معرض، فأخذت على عاتقي تطوير مهاراتي وذلك بالدراسة وعمل تربصات مغلقة مع كبار الفنانين، فالحكمة تقول، الصنعة تسرق ولا تعلم" وأيقنت أن الوصول المبكر يكون نتيجة الاستفادة من تجارب الآخرين واختصار الوقت. وفقت في مسار الفني وتوجت بالعديد من الجوائز الدولية و الوطنية وفي سنة 2014 عينت عضو لجنة تحكيم من طرف الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية بخصوص جائزة الدكتورة سعاد الصباح للفن التشكيلي . كما كانت لي مشاركات بمصر والمغرب وسلطنة عمان وتونس واليمن . مع هذا التكوين أسست لملتقي دولي للفنون التشكيلية يقام سنويا بمدينة سطيف أين حضر العديد من الأسماء العالمية والتي تركت أعمال لها لبلدية سطيف، وتبقى الأحلام والأهداف في هذا المجال لا حدود لها إلى أن تأخذ الحركة التشكيلية مسارها الصحيح وخلق أرضية سليمة للفنانين الشباب

مع كل هذا لا يزال حلم الدراسة يراودني عند عتبة كل نجاح فني فقررت دخول الجامعة بعد أن حصلت على شهادة الباكلوريا تخصص أدب، ووقع اختياري على علم الاجتماع ، وهذا حبا في دراسته خاصة بعد أن قرأت لأبن خلدون ومالك بن نبي .

في الجامعة كانت الدراسة ممتعة وشيقة وبدأت أكتشف أسرار هذا العلم الكبير ومع طاقم تدريس متمكن وخصوصا بعض الأستاذة يعدون سفراء لعلم الاجتماع دون منازع ،سفري الدائم ألهمني لأن اختار علم الاجتماع الحضري لأنه سيمكنني من استنطاق تلك المدن التي تسحرني وتأخذ مساحة من أفكاري، فمن سنة 2007 إلى 2011 التي تزامنت مع الدراسة، أنجزت الكثير من المعارض والمشاركات وسافرت إلى بعض العواصم العربية ومكنتني المعرفة العلمية بأن أسجل ملاحظات وأوظفها في بحوثي ودراستي، رسالة تخرج في ليسانس كانت حول المظاهر الثقافية والسوسيولوجية لأرصفة المدينة الجديدة تحت إشراف الدكتور عبد الرزاق أمقران، وبرغم حداثة الموضوع وفقنا وفريق البحث بإشراف الدكتور إلى تحقيق بعض الأهداف المرجوة من الدراسة .

يومياتي كانت تشع بالحركية وأنا أحاول أن أوفق بين الدراسة والعمل والفن وحتى بعد التخرج بقيت على أمل التدرج لكن لم أوفق في الماجستير إلى حين تم إدماجنا مع نظام LMD وتابعت طوري الماستر ومع موضوع جديد تحت إشراف الدكتور عبد الرزاق أمقران الذي يحسن اختيار المواضيع ومن يكون كفئ لها والموضوع هذه المرة حول الخطاب النسوي في الفضاءات المغلقة، برغم ما توصلنا إليه يعد معطيات أولية ودراسة استكشافية للموضوع إلا انه يبقى مشروع بحثي سينجز مستقبلا.

هذه بعض أهم المحطات الأساسية في حياتي التي ساهمت في بلورة أفكاري وتوجهاتي العلمية وحتى صقلت وشكلت مساري الفني. لكن ما هو أهم وبرغم التشجيع الذي كنا نتلقاه من طرف أساتذتنا تبقى الجامعة كإدارة تغفل دائما أصحاب المواهب مستغنية عن مواهبهم وعن توظفها لصالح الجامعة .أكيد لست الظاهرة الإبداعية الوحيدة في الجامعة ، بل هناك الكثير منهم كالمسرحيين والموسيقيين والراسمين والكتاب والشعراء، لنتصور لو أن الجماعة تملك قدرا من الذكاء وأعطت مساحة لهذه المواهب وتفرجت تلك الطاقات على فضاءاتها أكيد كنا لنملك جامعة اكثر رقيا بحس فني وابداعي.

3.5. حالة فوزية:

أكتب هذه الفقرات وانا على حافة منحدر قاسي اسمه البطالة. في الواقع، ينتابني يوميا نوع من الشعور اللامبالي " النورمال"، اتجاه كل ما حدث وما سيحدث من أوضاع، فقط من أجل الاحتفاظ على ذلك الزخم الهائل من المعنويات العالية المضادة لضربات الفشل والسقوط التي اعايشها في كل منعرج أو مسار توتر.

كل الحقيقة، التي من الممكن ان تدفع فضول اي فرد الى محاولة معرفتها عني هي انني تلك الموهبة التي يعتقد البعض انها ضاعت والبعض الاخر ظن وهو يلامس التأكد انها ستفشل او ستختفي مع الوقت، غير ان ذلك البريق الذي اراه يوميا في مجموع مدالياتي، الالوان التي تصدح رائحتها اليّ كل صباح ذلك الكم الهائل من الكتب التي املكها وتمتلكني، منظر شهاداتي ومعها صور أهم المفكرين والباحثين، كل هذا يفند ما يعتقدونه ويواسيني في تلك الصفعة التي قدمتها لي الجامعة في طبق يسمى تخرج. لا أخفي أنه يملأني غضب وربما خيبة أمل من نفسي اولا لأني كنت اعتقد انه باتكالي على الجامعة ومن فيها سيساعدني في تحقيق ما يمكن تحقيقه، ولكن هذه نتيجة ستواجه كل من يعتمد على الاتكال، لهذا دعوني افيدكم بأمر: أنا أملك طاقة لا بأس بها لكي ارسم طريقي سواء بمساعدة الجامعة ونخبها او بدونها، لهذا علينا ان لا نعلق أنفسنا بما يسمى ثقافة الاتكال.

فوزية، انسانة متواضعة مغرورة احيانا متهورة في كثير من الاحيان حرة لا تحب القيود، فلاحة، رياضية، ورسامة تشكيلية، نشأت في بيئة اسرية هادئة تقليدية وعصرية في نفس الوقت، لدي مسار تعليمي سليم، يشوبه نوع من الشغب والقليل الكثير من المشاكل، لم اتميز معرفيا في أطواري التعليمية الاولى لأني كنت اسأل كثيرا، أتمرد احيانا، وأطرد من القسم في اغلب الاوقات، أول كتاب قرأته كان وأنا في التاسعة من عمري، لأن من في المنزل قاموا بإبعاده عني ومنعي من لمسه، ومع اني لم أفهم منه اي شيء الا انني بقيت اتذكر ذلك الشعور الفريد بالانتصار.

يوجد في هذه الكلمات شيء من التسيب وربما نوع من الكلام البعيد عن الدقة، فهذا معروف عند كل فرد يريد شرح شيء من سيرته الشخصية للغير، أو شرح فشله او سوء حالته النفسية، لكن ينكشف فيه ايضا نوع من الصراحة الزائدة كالامتناع عن الاحباط والاستعداد للإيمان بمجموع المواهب والقدرات التي يحدوها الأمل بغد أفضل، فالكل ينظر وينتظر ويرغب في معرفة مصيرها.

لم اتوقف يوما عن البحث عن مواهبي، فقد اهتممت اول الامر بالميكانيك ثم في مرحلة عمرية صغيرة عشقت المستحثات وكل ما هو متعلق بها، بعدها جربت كرة القدم فرياضة الكراتيه وأخيرا الجودو، مع كل هذا زدت تعلقا بالألوان وعالم الفن اخترت الرسم والابداع بعيدا عن كل ما هو رسمي لأني في الاخير لا أحب المضايقات. لم اعتقد يوما اني سأتعلق وبدرجة كبيرة بعالم السوسيولوجيا، خضت هذا المجال لأن فيه نوع من الحلاوة الحيرة القلق والمرح. ما مصدر هذا الموقف؟ لعله يعود الى شخصيتي، او حتى الى الشحنات الزائدة التي تلقيتها من بعض اساتذتي في الجامعة. في الاخير لا يمكن ان نأخذ موقفا سلبيا كاملا اتجاه الجامعة، فرغم فشلها في احتوائنا والاستفادة من خدماتنا الا انها استطاعت التواصل معنا ومع طلبتها، كنسق ضعيف عن طريق بعض نخبها التي تستحق الثناء فلولاها لاختفت حتى من مراتبها الاخيرة الى هامش عالم المعرفة.

تمكنت وأنا طالبة المشاركة في محفل دولي كبير بإحدى مقالاتي، بعدها استطعت النشر وكذا الحصول على قبول نشر عدة مقالات لي في عدة مجلات مرموقة، لي مشاركة في كتابين، وكتاب شخصي في طور الانجاز سيرى النور قريبا يتبنى ظاهرة اجتماعية كثيرة التأثير والاهمية. لدي عدة دراسات ميدانية على شكلها الخام تنتظر الوقت المناسب للظهور، قرأت كما لا بأس به من الكتب اغلبها في علم الاجتماع الفلسفة والتاريخ، لخصت عدة كتب وارسلتها للنشر ككتاب بيير بورديو: "عن الدولة"، سعيت وبجهد جهيد الى تعلم اللغات الاجنبية واتقانها بغرض السفر واكمال الدراسة في جامعات غربية فجامعاتنا

لم تعد تستطيع تقديم معرفة منافسة لقريناتها في باقي دول العالم، كذلك سعيت الى معرفة المداخل والمخارج المنهجية فقد تبين لي "أخيرا" أنها من النوع الذي يحبذ التمرد على النمطية.

ربما الجامعة لم تتمكن من الاستفادة من مواهب طلبتها وقدراتهم العالية، الا انها تأثرت وبشكل ملفت بسبب المستوى المتدني لأغلبية طلبتها اساتذتها وكذا موظفيها والقائمين على تسييرها. الحقيقة التي لا يمكن الاغفال عنها ان الكل متورط، بدأ من طلبتها المميزين الى مسيري الجامعة، حتى لا نقع في خطأ اتهام جهة واحدة على حساب أخرى.

6. خلاصات ختامية:

القراءة المتأنية للإسهامات المكتوبة الثلاثة تتيح استنباط جملة من الاستنتاجات نعرضها على شكل خلاصات ختامية تعزز بقوة الرصيد المعرفي المتوافر في موضوع الموهبة، من جهة، وتبين ملامح جديدة قد لا تكون أثارت انتباه وفضول الباحثين في مجال الموهوبين والمتفوقين دراسيا، من جهة أخرى. (عائشة، مُحَمَّد عجوة، 2017)

أولا: تبرز الإسهامات أنماطا من الشخصية تتسم بمواصفات غير عادية مقارنة بالشخصيات الطلابية الحاضرة في فضاء الجامعة. شخصيات تحفر باستمرار مساراتها بشكل متدرج وتصاعدي مستفيدة أولا من طاقات وملكات ذاتية ومعترفة في الوقت نفسه بأثر الخبرات المحيطة بها. شخصيات تملك حسا متطورا تجاه مصادر القوة الداخلية ومصادر القوة الخارجية وتسعى دوما إلى إنشاء توليفة منهما تضمن لها الاستمرارية ومقارعة المعيقات ومحطات الفشل والضعف.

ثانيا: تبرز الإسهامات شخصيات تعمل دوما وبشكل مقصود وهادف على إرساء التوازن المأمول بين مجال تسبح فيه مواهبها وبين مجال حياتي أوسع. بل، الموهبة عند الطالبات الثلاث هي جزء من الحياة التي يعشنها وتتحقق جودتها كلما مارسن الموهبة بالحرية المطلوبة في سياقات ليست دوما مرحبة. مواهب هي وسيلة إثبات الذات، لكنها هي أيضا وسيلة لخدمة المجتمع في دوائره الضيقة والواسعة. وعلى ضوء هذا المعطى نفهم الأشكال المختلفة للحالات النفسية التي عبرت عنها الطالبات بصدق وجرأة غير معهودة: مرارة، خيبة أمل، تفاؤل، تشاؤم ... (سامية، تومي، 2015)

ثالثا: أكدت الإسهامات عجز الجامعة عن فهم حالتهن وتحجيمهن في مرتبة الطالبات المتفوقات دراسيا فحسب بمعيار الإنجاز البيداغوجي، وليس بمعيار التفوق البيداغوجي المدعوم بمواهب لم تشارك الجامعة في بلورتها ومن ثم مرافقتها ورعايتها. الطالبات الموهوبات حتى وإن لم يظهر الأمر بالوضوح

الشديد، هن من خلال تقييمهن يقترحن عقدا غير العقد الذي تشتغل به الجامعة: العقد البيداغوجي المنغلق على نفسه لا يمكنه التفطن إلى حالات طلابية تحتاج في بحثها عن الجودة إلى ما يتجاوز البيداغوجية. تلك هي مشكلة الجامعة الجزائرية التي تراجعت منذ الثمانينات من القرن الماضي عن أداء الكثير من وظائفها الحيوية وأبرزها تشجيع الأنشطة الثقافية والرياضية التي مثلت دوما حاضنا للمواهب.

رابعا: تعرفنا الإسهامات بطالبات يملكن استعداد عاليا لتحمل مسؤولية الكتابة وهذا منحى يجسد بوفاء تحمل تبعات المواقف في الحياة العادية. مواهب ثلاث ترشح الطالبات لتبوأ المراتب القيادية وليس المراتب التنفيذية التابعة. مواهب متجهة نحو الإبداع والصناعة وليس التطبيق والتبعية. هذا البعد في المواهب يساعد على فهم عدم تناسق المنطق البيداغوجي والحاجات الحيوية لحالات طلابية تعيش هم التفكير ومساءلة الأوضاع القائمة.

خامسا: تكشف الإسهامات شخصيات تملك مواهب لا تعترف بالحدود الجغرافية والحضارية المجحفة وتبين طبيعة التحديات التي تجاوزها للحضور في فضاءات خارجية تعترف بالمواهب ولا تضيق عليها. المواهب تلغي الحدود حينما تضيق عليها وتبحث عن فضاءات مستقبلة تمنحها الاعتراف دون مساومة، ترويض أو مقايضة.

7. الإحالات:

1- تعمدت أن لا أقف عند محطة التحديد الصارم لمفاهيم الدراسة ورأيت أن ما هو متوافر حول مفاهيم الموهبة والجودة يغنيني عن استحضارها مرة أخرى. الكثير مما حضر في هذه المقالة موجود في الأدبيات المهتمة بالموهوبين والمتفوقين دراسيا.

2- كان بإمكاني أن ألبي طلب مُحَمَّد ونلتقي في مقهى حول فناجين قهوة أطرح الأسئلة وهو يجيب، لكن تلك الخطوة بنظري تنشئ عدم اتساق بين نص مكتوب ومعلومات شفهية. أضاع مُحَمَّد الظهور في المقالة وأضعنا حالة رابعة ثرية بالخبرات على الرغم من صغر سن المعني.

3- لم يسبق لي طيلة تعاملي مع الطالبات أن وصفتهن بشكل علني ومباشر بالموهوبات وكانت فرحتهن عظيمة من خلال ردود أفعالهن على صندوق الدردشة قبل انجاز العمل وبعده.

4- يمكن العودة في هذه المسألة مثلا إلى مقالة:

- عائشة مُحَمَّد عجوة. (2017). المشكلات النفسية والاجتماعية للموهوبين وبرامج إرشادهم. محاضرات الملتقى الدولي: التكوين في الموهبة والابداع. من تنظيم: الجمعية الجزائرية للموهوبين والمتفوقين. الجزائر.

5- يمكن العودة إلى كتيب:

- سامية تومي. (2015). تعريفات ومفاهيم جودة التربية. سلسلة دليل جودة التربية. مخبر تطوير نظم الجودة في مؤسسات التعليم العالي والثانوي. جامعة باتنة1. الجزائر.